

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف جورجى زيدان

فرق واضح بين إعادة طبع كتاب وإعادة طبعه مع التعليق عليه ، ذلك لأن إعادة الطبع وحدها إنما تعنى أن يجيء الكتاب على الصورة التي كان عليها من قبل . أما إعادة الطبع مع التعليق فأنما تعنى شيئاً آخر . إنها تعنى جهداً يبين في وضوح وجلاء التطورات التي حدثت في الموضوعات وفي دراسة المسائل التي يحتويها الكتاب . وليس يخفى أن هذا الجهد يجب أن يذل من المختصين في المسائل المتبعين لسير الحركة الفكرية فيما هو من شأنهم .

والكتاب الذي بين أيدينا ، طبع الطبعة السابقة منذ نصف قرن تقريباً ، وليس وراء ذلك إلا القول بأن تغيراً كبيراً قد حدث ، وتطوراً عظيماً قد جد . أن نصف قرن كفيلاً بأن يبطل بعض الآراء ، ويبطل بعض النظريات ، ويقطب بعض الحقائق رأساً على عقب . وهذا الذي يجعلنا نتوقع أن يكون التعليق على هذا الكتاب مفيداً كل الفائدة من حيث دلالاته على التغييرات الجوهرية التي تمت منذ طبع الكتاب إلى الآن .

والكتات الذي بين أيدينا يؤرخ للثقافة العربية في شتى الميادين كما يحاول الإشادة بفضل العرب وبيان منزلتهم بين سائر الأمم . وتلك هي الأغراض التي من أجلها قام المؤلف بتأليف هذا الكتاب :

١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعي والعقلي .

٢ - تاريخ ما تملمت عليه عقولهم وقرائمهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والمعصور .

٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف أدواره : من تكونه ونشوته إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار .

٤ - تراجم رجال العلم والأدب مع الإشارة إلى المآخذ التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم .

٥ - وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزات بعضها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها .

٦ - لانهم من هذه الكتب إلا بما لا يزال باقياً منها ، ويمكن الحصول عليه .. فإذا كان مطبوعاً ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يطبع أشرنا إلى المكاتب الكبرى التي يوجد فيها - نعى المكاتب الدولية في أوروبا أو غيرها ، كمكتبة برلين ، ومكتبة المتحف البريطاني في لندن والمكتبة الأهلية في باريس ، والمكاتب الدولية في فيينا واكسفورد ولندن وغيرها ، ودار الكتب المصرية في القاهرة ، ومكاتب أيا صوفيا وكوبرلي وبايزيد أو غيرها في الآستانة ... حتى إذا أراد أحد الوقوف على شيء من الأصول الخطية ، طلبها في فهارس تلك المكاتب .

وبالجملة فإن غرضنا الرئيسي أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلاً عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمتها بالنسبة إلى سواه من نوعه .. فهو أشبه بدائرة معارف تشمل تاريخ قرائح الأمة العربية

وعلقوها وتراجم علمائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها .

وليس وراء هذا كله إلا القول بأن التعليق على هذا الكتاب يجب أن يكون من أناس عديدين . أناس اختلفت ثقافتهم وتنوعت وتعددت وأجاد كل ما اختلف فيه والإيجازات التعليقات من غير ذى اختصاص فذهبت قيمتها وأصبحت عديمة النفع قليلة الجدوى .

والكتاب الذى بين أيدينا يشير إلى وعد لم ينجز . وعد قطعه المؤلف على نفسه ولم يستطع القيام به ، وذلك هو قوله : (ومتى تم الكتاب ألقناه بفهرس أبجدى للأعلام والموضوعات ، فيصير معجماً للعلم والعلماء والأدب والأدباء والشعراء ، ولما جادت به قرائتهم من التصانيف أو المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعة أو وجوده) . وليس وراء هذا إلا القول بأن التعليق يجب أن ينجز هذا الوعد . ويجب أن يتم هذا النقص وأن يسد هذا الفراغ .

هذه الخطة المنهجية ، التى ذكرنا ، لم يقع منها شيء ، فقد عهد الناشر إلى فرد واحد بالتعليق على الكتاب ، فرد لا يستطيع أحد أن يدعى له أنه القادر على التعليق على الحركة الفقهية والحركة الكلامية والحركة العلمية الخالصة كالطب والفلك والرياضة وحركة الثقافة النسوية كالتدبير المنزلى والطهى وما أشبه . أن الناشر قد أخطأ حين عهد إلى فرد واحد ، وان المعلق قد أخطأ حين قبل أن يقوم وحده بهذا التعليق .

ثم أن هذا الفهرست الأبجدى الذى وعد به المؤلف لم يقم المعلق بانجازه ولو فعل لأفاد واستفاد . لو فعل لأفاد القارىء كثيراً من حيث توفير الجهد فى الرجوع إلى المصادر . وفى الرجوع إلى تاريخ الرجال

ووصف الكتب والمخطوطات . ولو فعل لاستفاد هو من حيث توفية
هذه التعليقات حقها . أن وضعها في الهامش من الصفحات جعلها قصيرة
وغير دالة .

ويبقى بعد ذلك أن نقول أن في هذه التعليقات جهدا غير منكور .
جهداً يقف عند حدود التعريف ببعض الكتب والاشارة إلى بعض الكتب
والاشارة إلى بعض المصادر في تاريخ الرجال أما التطور الذي جد
في الموضوعات وفي دراسة المسائل التي احتواها الكتاب فقد كان حظه من
التعليقات قليلا .

محمد احمد خلف الله